

قرية "الفاو"

صورة للحضارة العبرية قبل الإسلام

في المملكة العربية السعودية



عرض : الدكتور أحمد حسن غزال

يقدم هذا الكتاب في عرض شيق ودراسة علمية جادة النتائج الأولية لأحدث الاكتشافات الأثرية في منطقة الشرق الأوسط . وهي « قرية » الفاو ، التي تبعد حوالي ٧٠٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض ، والتي كشفت عنها بعثة كلية الآداب بجامعة الملك سعود، ويشرف عليها الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري منذ عام ١٩٧٦م . ويذكر الدكتور الأنصاري أن الدراسات التفصيلية لكل المعثورات التي تم الكشف عنها في السنوات العشر الماضية تعد الآن ، بعد تصنيفها ، لتصدر في عشرة مجلدات .

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن المؤلف يعرض للقارىء من خلال مجموعة هائلة من الصور والتخطيطات الدقيقة للكشوفات الأثرية المزودة بشروح وتعليقات وافية ، صورة حية لما كانت عليه إحدى المناطق القديمة وسط الجزيرة العربية ، وأهميتها في إعطاء صورة واضحة ومحددة عن دورها في ازدهار الحضارة العربية القديمة، ودورها الفعال في منطقة الشرق الأدنى القديم ..

والكتاب أصدرته جامعة الملك سعود سنة ١٩٨٢م - بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على إنشائها ؛ ليعبر عن أحد الانجازات الناجحة التي قامت بها الجامعة في مجال الدراسات والاكتشافات الأثرية في المملكة العربية السعودية .

ويقع الكتاب في ٢٠٩ صفحات ، منها ١٤٩ صفحة باللغة العربية و٦٠ صفحة أخرى تحوي موجزا باللغة الانجليزية . ويضم بين هذه الصفحات أكثر من ٣٠٠ صورة ملونة وتخطيطات متعددة للمعثورات الأثرية . في طباعة فاخرة ، زودت جميعها بشروح وافية باللغتين العربية والانجليزية ..

ويقدم المؤلف للقارىء « قرية » الفاو ، فيذكر أنها تنرف على الحافة الشمالية الغربية للربع الحالي على بعد حوالي ٧٠٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الرياض و٢٨٠ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة نجران في المنطقة التي يتداخل فيها وادي الدواسر ، ويتقاطع مع جبال طويق عند فوهة مجرى قناة تسمى بالفاو . ومن هنا جاءت نسبتها حديثا إلى الفاو . تعريفها بها وتبميزا لها عن باقي القرى المجاورة . وبذلك تقع « قرية » على الطريق التجاري الذي يربط بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها ، وشمالها الشرقي ؛ حيث كانت تبدأ القوافل من الممالك الجنوبية متجهة إلى نجران ، ومنها الى « قرية » ومنها إلى الأفلاج فالهامة ثم تنجه شرقا إلى الخليج وشمالا إلى وادي الرافدين وبلاد الشام . ومن هنا جاءت

أهميتها كمركز تجارى واقتصادى هام فى وسط الجزيرة العربية .

أما عن المصادر التى حدثنا عن « قرية » فيذكر المؤلف أن الاهتمام بها كموقع أثرى بدأ منذ الأربعينات، وعندما زار الموقع بعض الرحالة الأوربيين على فترات متقطعة ، وكانت ثمره رحلاتهم جمع بعض النقوش الظاهرة ودراستها والاشارة الى بعض أنقاض المباني والتلال ثم رسم خارطة لها . ومع عام ١٩٧١م قامت بعثة كلية الآداب بجامعة الملك سعود بدراسة علمية حديثة للموقع وتحديد المنطقة الأثرية هناك . لتبدأ فيها التنقيب الأثرى بطريقة علمية منظمة . ابتداء من العام التالى ١٩٧٢م فى مواسم سنوية متتالية حتى الآن . ومن المتوقع أن تمتد أعمال التنقيب فيها الى حوالى عشرين عاما قادمة .

ومن الملاحظ أن ذكر « قرية » قد جاء فى المصادر الإسلامية بشكل محدود . فلم يذكرها إلا البكرى والهمداني . وربما يرجع ذلك إلى أن دورها كمركز تجارى او مستقر حضارى كان قد انتهى قبل ظهور الاسلام . ويؤكد ذلك عدم اكتشاف آثار اسلامية بموقعها حتى الآن .

أما الكتابات التى اكتشفت بالموقع : فكانت من أهم المصادر بالنسبة للباحث ، فقد أشارت إلى « قرية » وسُمّتها « قرية ذات كهل » وكهل هذا الذى أشارت إليه هذه الكتابات العربية القديمة . كشفت الحفائر الأثرية عن صوره منقوشة ومرسومة على جدران سوق « قرية » ومنازلها . وعلى عملاتها ومباخرها . وأيضاً على سفوح جبل طويق . وأهم ما أشارت إليه هذه الكتابات هو أن « قرية » كانت عاصمة لدولة كندة وأن ملوك سبأ وذى ريدان قد غزوها أكثر من مرة ، وتؤرخ هذه الكتابات فى فترة تتراوح بين القرن الأول والقرن الخامس الميلادى .

يقدم المؤلف بعد ذلك شرحاً وافياً لأهم المكتشفات الأثرية التى جاءت من الجزء الذى تم حفره حتى الآن « بقرية » بعد تصنيفها وحصرها فى نهاية موضوعات كالتالى :

أولا العبارة :

استخدم سكان « قرية » الأحجار فى مبانيهم بعد أن قطعوها من المحاجر وصقلوها . كما توضح مباني المقابر وأساسات المباني الهامة كالقصر والمعبد . واستخدموا اللبن المربع والمستطيل فى بناء منازلهم ومحلاتهم التجارية . وأهم المباني المعمارية التى تم إكتشف عنها

هى :

١ - السوق : عبارة عن تجمع ضخم لمجموعة من المحلات التجارية يحيط به سور ضخم يتكون من ثلاثة جدران سمكية أوسطها من الحجر الجيري . أما الداخلى والمخارجى فمن

اللبين . وللسوق باب واحد ويعلو سوره سبعة أبراج . ويقع السوق على مقرب من الحافة الغربية للوادي الذي يتصل بين جبل طويق وبين الحديد الشرقية للمدينة السكنية التي بدأ الحفر فيها الآن . ويقدم المؤلف وصفا معياريا للدكاكين التي بقيت كاملة بأبوابها الواسعة وواجهاتها المبنية من الحجارة وبعض التفاصيل الأخرى . وقد لاحظ أن عددا كبيرا من الدكاكين يتكون من طابقتين . وكذلك وجود مجمع مائي لخدمة أغراض أصحاب الدكاكين ..

٢ - القصر :

يوضح تخطيط القصر أنه يتكون من عدة حجرات وصلات وأروقة. ولم يبق إلا أساسات وأجزاء باقية من الجدران وقواعد بعض الأعمدة . وتدل بقاياها على أنه بنى من الأحجار المطلية بالجص من الداخل . إذ وجد على أرضية إحدى القاعات كتل من المبانى الساقطة تعلوها طبقة جصية مقلوبة على وجهها انضج بعد رفعها بعناية أنها تحمل مناظر مرسومة بالألوان ويغلب عليها اللون الأحمر . وستناولها فيما بعد . ولا يزال الموقع في حاجة إلى مزيد من الكتف والدراسة .

٣ - المعبد :

يعتبر معبد « قرية » أول معبد قديم يكتشف عنه داخل حدود المملكة العربية السعودية. ويكتسب هذا المعبد أهمية خاصة : حيث عثر بداخله على مجموعة من التماثيل البرونزية . فيها دلالات أسطورية أعطت معلومات جديدة لم تعطيها من قبل مقابر أخرى في جنوب الجزيرة العربية : فهذه التماثيل توضح أهمية منطقة « قرية » كمركز حضارى في وسط الجزيرة العربية ووجود صلات حضارية تربطها ببلاد الشام وحوض البحر المتوسط ووادى النيل . هناك أيضا نقش يشير إلى بناء المعبد عثر عليه عند المدخل .

٤ - المقابر :

يرى المؤلف أن مقابر « قرية » تنتمي من حيث شكلها المعارى وتخطيطها وتوزيعها في المنطقة الأثرية الى ثلاث فئات سكانية .

أ - مقابر الملوك . وهى عبارة عن حجرات مبنية في باطن الأرض يعلوها أفنية بها شواهد قبور مكتوبة . وأهم ماكتشف عنه هو قبر « معاوية بن ربيعة » ملك قحطان ومذحج. كما يدل النقش المكتوب بالفلم المسند على شاهد القبر . وقد بنى قبره من الحجر الأملس ويصل إلى عمق خمسة أمتار . ولم يبق من المعنورات إلا شاهد القبر فقط. حيث من الواضح أن المقبرة تعرضت من قبل للنهب على أيدي لصوص المقابر . وتوجد قطع حجرية كبيرة حول

المقبرة مما يوحي بأنه كان يعلوها فناء كبير لتأدية الطقوس الجنائزية .
جـ - مقابر النبلاء وتقع على مقربة من مقبرة معاوية بن ربيعة . وقد تم الكشف عن مقبرة أخرى يعلوها بقايا جدران، ويؤدي الى حجرة الدفن السفلى مهبط يعمق حوالي ثلاثة أمتار ونصف . وهي وإن كانت تشبه مقبرة الملك معاوية إلا انها تخلو من غرفة دفن خاصة بصاحب المقبرة . ومن أهم الاكتشافات شاهد قبر مكتوب بالقلم المستد يوضح ان صاحب هذه المقبرة هو « عجل بن هفعم » ولقد عثر أيضا على مقبرة أخرى تنتمي إلى هذا النوع وهي لشخص يدعى « سعد بن أرسن » .

جـ - مقابر العامة . وتقع شمال شرقي المدينة على الحافة الغربية للوادي شمال السوق . وهي تشبه المقابر الإسلامية الحالية . أي أنها عبارة عن لحود محفورة في سطح الأرض . وتغفل بكتل متساوية من اللبن ..

٥ - المساكن :

توضح الحفائر الأثرية التي أجريت بالمنطقة السكنية أنها مرت بثلاث فترات سكنية متعاقبة . ويوضح تخطيطها وجود أزقة وشوارع بين المنازل . ووحدات سكنية متميزة . ونزل ينزل بها التجار . وقد روعيت الدقة في استقامة المباني . واستخدمت الأخشاب للأبواب والنوافذ . ويلاحظ وجود مجار للمياه النظيفة واستخدام الأحجار المصقولة في خزانات المياه . وكذلك شيوخ استعمال الدرج في جميع الوحدات السكنية، ويلاحظ أيضا وجود مخازن للغلال وأماكن للرعى حيث تطلحن الحبوب . كذلك توجد متكآت ومقاعد داخل الغرف . ويصل ارتفاع الدكان الى حوالي ٦٠ سم. وكل هذا يدل على فهم عميق لحياة متطورة واستخدام صحيح لأسس العمارة في تلك الفترة ..

في الواقع انه باكتشاف المنطقة السكنية تكتمل العناصر الأساسية التي توضح لنا التخطيط المعماري للمدينة العربية قبل الاسلام . وهذه العناصر هي كما رأينا : السوق - النصر - المعبد - المقبرة - السكن . ولانك أن هذه هي المرة الأولى التي نكتشف فيها الحفائر الأثرية سواء داخل حدود المملكة العربية السعودية أو خارجها عن نموذج متكامل لتخطيط المدن العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ..

ثانيا : الكتابات :

كشفت الحفائر الأثرية عن مجموعة هائلة من الكتابات في دولة كندة . ويعتقد المؤلف أن الكتابة بالنسبة لهم كانت حاجة ملحة : نظرا لدور « قرية » التجارى بين الجنوب



والشمال والشرق . كما أن دورها السياسي كعاصمة لدولة كتنة يجعلها مركزا لدور قيادي يحتم عليها الاهتمام بهذا الجانب الحيوي في علاقاتها مع الآخرين . لقد انتشرت الكتابة بشكل يبعث على الإعجاب بهذا المجتمع المتعلم ، فالكتابة هناك في كل موقع وفي كل اتجاه ، على سفوح الجبال بكميات هائلة وفي السوق والمعبد وعلى اللوحات الفنية وعلى جدران المدينة السكنية وعلى شواهد الفيور ، وعلى العظام والخشب والأواني الحجرية والمرمرية والفخار والتابيل والأختام والمسكوكات . وعلى أغطية الجرار .

كل هذا يعنى أننا أمام مجتمع كانت الكتابة تلعب فيه دورا مهما وأساسيا . وكان القلم المسند الجنوبي هو القلم الرسمى الذى يعبر به مواطنو « قرية » عن أفكارهم وخواطهم ومشكلاتهم . وهو القلم الذى استعملته ممالك جنوب الجزيرة العربية والموضوعات التى تناولتها كتابات « قرية » كانت موضوعات دينية وتجارية ، وبعض المعلومات الخاصة

المتعلقة بالعلاقات الفردية . كما أن هذه الكتابات قد أوضحت التعريف بقبائل كانت ضمن مكونات هذا المجتمع . كذلك أمكن التعرف على « كهل » « معبود » « قرية » الأعظم ..

ثالثا : الرسوم الفنية :

اهتم الفنان العربي في شبه الجزيرة العربية برسم مشاهداته في الحياة اليومية على لوحات فنية تختلف في جودتها وإتقانها من مكان لآخر حسب ظروف المجتمع ومستوى الفنان ومدى قدرته على نقل مشاهدته . وقد درس المؤلف مراحل التطور التي مر بها فنان شبه الجزيرة العربية في « قرية » وقسمها إلى أربعة مراحل كالتالي :

١ - المرحلة الأولى :

وقد اتخذ فيها فنان « قرية » من سفوح الجبال الصخرية لوحات ينقر ويرسم عليها تخيالاته ومشاهداته في الطبيعة . وكان الشكل الانساني من الموضوعات الواضحة في ذهنه منذ مراحلها الأولى : فقد فرق بين رسم الشخص العادي ورسم الإله ، حيث تخيل الإله في شكل إنساني ضخم . ونقر شكلا على صخرة الجبل يطل على « قرية » يصل ارتفاعه إلى ١٠ أمتار في كامل ملابسه ممسكا برمحين في يده اليسرى ويمتنطقا بسيف . ويعتقد المؤلف أن هذه الصورة ماهي إلا للاله « كهل » وأمامه ذلك السهل الفسيح يطل عليه حيث كانت تجرى مراسم الأعياد ، وعلى سفح الجبل نفسه تنتشر رسوم مواكب الجبال - بعضها يحمل الهودج - وخيول وأشخاص ومناظر حروب ..

٢ - المرحلة الثانية :

وفيها حاول الفنان العربي أن يرسم داخل المنازل - فحز رسومه في بلاط الجدران كما توضح غالبية الغرف . ثم خطا خطوة متقدمة نوعا ما . حيث استعمل الألوان في رسومه كي تبدو أكثر وضوحا وجاذبية .

٣ - المرحلة الثالثة :

نلاحظ أن الفنان في هذه الفترة أصبح يمثل كيانا له دوره في المجتمع . ولعله كان ينقذ أعماله بتكليف من سكان « قرية » فيرسم مناظر يقترحونها عليه أو يطلبونها منه . ويتعكس هذا الاتجاه بوضوح في أحد دكاكين السوق « بقرية » : إذ ظهر على جدرانها ثلاث لوحات تمثل رحلة صيد للجمال قام بها شخص ينطلي صهوة جواد كتب فوق رأسه

كلمة « ملك » وفوق رأس شخص آخر كتبت كلمة « سالم بن كعب » . كما رسم الفنان كلابا تسير في معية الموكب . ثم تتكرر كلمة « كهل » بين هذه الرسوم . وقد نفذت رسوم الأشكال باللونين الأسود والأحمر . وتعتبر هذه اللوحات من أهم الأعمال الفنية التي تعكس مرحلة متقدمة من فهم الفنان لرسم مشاهد تفصيلية من الحياة اليومية في هذه المرحلة ..

٤ - المرحلة الرابعة :

في هذه المرحلة نجد أن فنان « قرية » قد قوى عوده وتطور إدراكه للأساليب الفنية بشكل ملحوظ . فثبت ألوانه ومزج بينها ونوعها . فجاءت لوحته آية في الابداع الفنى . ونجد هذا الاتجاه واضحا في اللوحات الفنية التي عثر عليها في أنقاض القصر . وهذه اللوحات الفنية تمثل شربطا أو إفريزا من المناظر المرسومة فوق طبقة جصية رقيقة لا يزيد سمكها عن مليمترين فقط . وكانت عملية إنقاذها من بين الأنقاض وترميمها من أسبق العمليات . وقد تمت بكفاءة نادرة . والموضوعات الزخرفية التي بقيت من هذا الإفريز تتمثل كالآتي :

سمك يسبح في الماء . وخيول تحوض الماء لم يبق منها إلا السنابك . وربما كانت هذه الخيول تجر عربة تعبر البحر أو النهر . لوحة أخرى تتمثل عليها وجه لإنسان ذى عينين واسعتين وشارب رفيع وعلى رأسه إكليل يوضح شخصيته الهامة . وربما كان ملكا يتوج بمساعدة شخصية الى يمينه ويساره لم يبق إلا أجزاء منها . وحولهم جميعا تنتشر الزخارف النباتية التي تتمثل في أوراق العنب وعناقيده . لوحة نالية عليها بقايا لأقدام الجبال ومعها أوراق العنب وعناقيده . لوحة أخرى عليها صورة لامرأة بجوارها مبخرة وكتابة توضح أنها « بنت كعب » . ثم تأتي لوحة عليها جمل يحمل هودجا . وإنسان يسك بخطام الجمل . وتتكرر في معظم اللوحات أوراق العنب وعناقيده .

لقد كان فنان « قرية » طوال مراحل تطوره الأربع فنانا أصيلا . تكمن أصالته في أنه احتفظ في فنه بطابع منطفته . والبيئة التي يعيش فيها . فرسم الآلهة والإنسان والجمل والهودج والخيول والمحاصيل والمباخر واستخدم القلم المسند . وحافظ على السهات العربية في كل أشكاله طوال رحلته الفنية من خلال أسلوب فنى متطور يعكس روح العصر الذي يعيش فيه ..

رابعاً : التماثيل :

حفلت « قرية » الفار أيضاً بمجموعة مهمة من التماثيل . بقى معظمها في حالة جيدة .

بعضها صنع من المعادن والبعض الآخر نحت من الأحجار الجيرية والمرمر . كذلك وجدت تماثيل من الطين والخزف . بعض هذه التماثيل لأشكال آدمية كاملة أو أجزاء منها والبعض الآخر لأشكال حيوانية وغير ذلك من الأشكال المختلفة . وأهم التماثيل الأدمية . كان التمثال الرائع الذى عثر عليه فى المعبد، وهو من البرونز للطفل حاربيوكراتيس ابن الآلهة إيزيس . يرتدى على رأسه التاج المزودج الذى يرمز إلى مصر العليا ومصر السفلى . ويتدلى شعره على جانب رأسه . يقرب سبابته اليمنى من فمه . وهو يحنح ويمسك بيده اليسرى قرن الخير يتدلى من فوهته العليا عنقود عنب . وربما قد أعيدت صياغة التمثال من جديد حيث نلاحظ استخدام عناصر عربية تتمثل فى « الدلاية » التى تتدلى على صدره . والتى تميزت بها بعض التماثيل البرونزية التى اكتشفت فى جنوب الجزيرة العربية . كذلك يظهر بوضوح عنقود العنب الذى رأيناه كدافع زخرفى أساسى فى « قسرة » كما رأينا على الرسوم الجدارية . وتنتشر أوراق العنب وعنقوده أيضا كوحداث زخرفية فى جنوب الجزيرة العربية . هناك أيضا تمثال تصفى لامرأة من البرونز ترتدى ناجا على رأسها، ربما كانت ملكة أو آلهة . وتمثال لشخص جالس على ساقيه ويدها ممدودتان على فخذه فى وضع خشوع وتعبد . وهو من البرونز . وهناك أجزاء عديدة من تماثيل آدمية تتمثل فى أقدام وأذرع وقبضات أيدى وتماثيل لدلافين وتماثيل لحيوانات وروهوس لأسود من البرونز . وغير ذلك من التماثيل الأخرى العديدة صغيرة الحجم ..

خامسا - الخشب والعظم والعاج :

أعطى سكان « قرية » اهتماما خاصا بالخشب فاستخدموه فى أغراض عديدة . ورغم التلف الذى يصيب هذه المادة . فقد بقيت بعض المصنوعات الخشبية منها : وعاء صغير على شكل طبق . ومكياال وجد فى أحد الدكاكين . وعدد من الأمشاط تظهر بها الأسنان الدقيقة من طرف والعريضة من طرف آخر مع خطوط زخرفية جميلة . أما عن مواد العظم والعاج، فقد عثر على قطع عديدة صنعت من هذه المواد قبل الأساور والحقائم والأقراص والدلايات والحز والحلى . واستخدمت هذه المواد أيضا فى تزيين المقاعد ومقابض الحناجر والسيوف ..

وقد لوحظ أن عظام الجبال قد حفظت بعد تنظيفها للكتابة عليها . وهى المرة الأولى فى تاريخ الجزيرة العربية التى يعثر فيها على عظام مكتوبة . كما عثر أيضا على أقراص أسطوانية من العاج، استخدمت كمنازل للصدف . أما بالنسبة للمنسوجات ، فمعظم

القطع المنسوجة التي عثر عليها في « قرية » من الكتان وصوف الأغنام ووبر الجبال . وقد أمدتنا الرسوم والتأثيل الأدبية التي ترتدى الملابس أمثلة لتطوير صناعة المنسوجات وتقدمها من حيث الصناعة .

سادسا : الصناعات المعدنية :

كشفت حفريات « قرية » عن العديد من الأواني المعدنية والكسر المعدنية المختلفة . تمثلت في أشكال القدور والسكاكين وأغهاد الحناجر والمراد ومقايض الأواني والأساور . وأهم هذه المعنورات : جزء من كأس فضية . عيار وزن مكعب الشكل مستطيل يعلوه مقبض نصف دائري عليه كتابات ورمز الآله « كهل » ويزن هذا المعيار حوالي أربعة كيلو جرامات . عثر أيضا على مسرجة من البرونز كثيرة الشكل بحالة جيدة ..

سابعا . المسكوكات والحلى والزجاج :

تعتبر المسكوكات في « قرية » من أهم المعنورات . ونكمن أهميتها في أنها قد ضربت في « قرية » ومعظم ما عثر عليه كان من الفضة . وتحمل على الوجه صورة شخص واقف أو جالس وهو في الغالب « كهل » معبود « قرية » . وعلى الظهر يأتي اسمه أو توقيعه واضحا . وأما عن الحلى فما وجد منها هو عبارة عن أساور من المعدن والزجاج أو العظام أو العاج ، وغالبا ما تكون هذه الأساور مزخرفة بزخارف جبلة منقولة من الطبيعة . بخطوط على السطح الخارجي أو حبيبات دائرية تتكرر على محيط الأساور . عثر أيضا على بعض خواتم فضية ونحاسية وحديدية وبمجموعة كبيرة من الحرز بأشكال وأحجام مختلفة من العقيق والبللور الصخري والياقوت والزجاج المعتم والشفاف . وقد استعملت كعقود وأغلاق (دلايات) وتعاويد . كما عثر على مجموعة كبيرة من الفصوص المختلفة الأحجام . أما بالنسبة للزجاج فتعتبر معنورات « قرية » معرضا راعيا لأنواع مختلفة ألوان شتى . وتعكس بوضوح حركة التجارة ونحوها .

ثامنا : الأدوات الحجرية والفخار :

استعمل مواطنو « قرية » الحجر بعناية فائقة سواء ما كان منه محليا أو مجلوبا من خارجها . وأهم هذه الأحجار البازلت والحجر الصابوني والأوبسيدان والكواتز والبللور الصخري والجرانيت . وقد صيغت هذه الأحجار أواني متعددة الأشكال تستخدم في أغراض الحياة اليومية وصنعت منها أيضا تماثيل صغيرة . كذلك وجدت مجموعة من الرصي

إلى جانب العديد من الأحجار الكبيرة التي كانت تزين واجهات المعابد والمباني المختلفة حيث نجد عليها زخارف نباتية في أشكال هندسية . كذلك استخدمت الأحجار في صناعة الأفاريز وموائد القرايين والمذابح والأحواض والمراحيض إلى جانب العديد من شواهد الفبور المكتوبة بالقلم المسند .

أما بالنسبة للفخار فمن المعروف أنه من أهم المواد التي يكتشفها الأثريون لما يعطيه من معلومات تسهم في تحديد ملامح الأدوات التاريخية التي مرت بها الحضارات القديمة . وكشفت الحفائر الأثرية في « قرية » عن العديد من الأواني الفخارية . وأمكن تحديد أنواعها وصفاتها وأشكالها الزخرفية التي نقشت عليها .. وعثر أيضا على العديد من الكسر الفخارية بعضها يحمل كتابات . وورد على بعضها اسم « كهل » وأسما أخرى منها « شعر بئر عسن » ملك حمير . وقد امكن تصنيف فخار « قرية » بصفة عامة إلى فخار خشن . منها مجموعات أوانيها خاصة بالاستعمال اليومي أو للأغراض الدينية بالمعابد والمقابر أو للأغراض التجارية . وأشكالها كانت القدور والأزياء والمجرار وأواني للزبادى . والمباخر والزمزيمات والمصافي وأغطية الأواني التي يأخذ بعضها أشكال الحيوانات . يأتي بعد ذلك الفخار الرقيق . ويمتاز عن الخشن بنعومته ونقاء طينته وتأثره بالأساليب الفنية الواردة للمنطقة . وقد عثر على كمية مناسبة من هذا النوع من الأواني الفخارية . وأبرز ما عثر عليه من الفخار الرقيق تلك الكسر النبطية التي وجدت في المنطقة السكنية . وهي ذات عجينه حمرء نقيه جيدة الحامة . وتنتمي الى أجزاء من أطباق صغيرة ورقيقة مزخرفة من الداخل بزخارف ملونة باللونين الأسود والبرتقالي .

يأتي بعد ذلك الفخار المزجج أو الخزف وقد عثر عليه في « قرية » بكميات كبيرة لانقل في حجمها عن الفخار غير المزجج . وتتمثل أشكال هذا النوع في الزهريات والأطباق والزبادى والأباريق وغيرها . ومن الملاحظ أن الأواني الخزفية في « قرية » قد تشكلت على دولاب . ويبدو ذلك واضحا من الحلقات الدائرية المتوازية حول أجسام الأواني . ويختلف عليها أسلوب الزخارف من فنان إلى آخر .



يستخلص المؤلف من هذه الاكتشافات النتائج الهامة التالية :

١ - أن الطراز المعارى الذى استخدمه سكان « قرية » فى السوق والقصر والمعبد والجزء الذى كشف عنه من المنطقة السكنية يدل دلالة واضحة على أنه يمثل طرازاً عربياً أصيلاً ، حيث برزت فيه مراعاة السكان لظروف البيئة واحتياجاتهم المختلفة . ويلاحظ أن بعض عناصر هذا الطراز تتمثل فى الطرز المعارية التى تنتمى لحضارات أخرى سادت فى القرون الأولى للميلاد فى اليمن والبدو والحضر وسواحل آسيا الصغرى ..

٢ - تعتبر الكتابات التى عثر عليها فى حفائر « قرية » من أهم المصادر الأثرية بالنسبة للمؤرخين ، فقد أفادتنا فى التعرف على اسم عاصمة دولة كندة وأن اسمها « قرية » ووصفتها بأنها « ذات كهل » وبذلك نكون قد تعرفنا لأول مرة فى التاريخ العربى على عاصمة هذه الدولة التى لم تشر إليها الكتب العربية من قبل ، كما لم تشر أيضا إلى معيودها الرسمى « كهل » . ومن أهم النقوش التى عثر عليها نقش الملك « معاوية بن ربيعة » إذ يمكن مقارنته بمضمون نقش النحارة ، ولذا أمكن تحديد تأريخه . بحوالى القرن الثالث الميلادى . هناك أيضا أسماء الأعلام التى ظهرت محزورة على الفخار ومنها اسم « شعر يهرس » الملك الحميرى الذى يعود الى الفترة ذاتها ..

٣ - وتمثل الرسوم الفنية التى وجدت فى أنقاض القصر قمة التطور الفنى لهذه المدينة إذا ما قورنت بمثيلاتها فى البلدان المتاخمة سواء فى الشمال أو الجنوب ، بل يمكن القول بأنها تفوق فنونها من حيث دقتها وتناسفها وقدرة الفنان الذى رسمها فى إبراز التفاصيل الدقيقة حتى جاءت رسوماته معبرة عن تصوره ورؤيته الفاحصة للبيئة التى يعيش فيها . ويستبقى هذه اللوحات الفنية الرائعة النموذج الوحيد للأشكال المرسومة على الجدران فى أرض الجزيرة العربية إلى ان تكتشف الحفائر الأثرية عن نظير لها ..

٤ - وتمثل التماثيل الحجرية والمعدنية تطورا فنيا ملحوظا فى « قرية » ، فبالنسبة للتماثيل المنحوتة من الأحجار المرمرية نجدها تعكس فى أسلوبها الفنى مزيجا حضاريا يمتد منذ القرن الثانى ق.م فى اليمن بصفة خاصة . أما بالنسبة للتماثيل المصنوعة من المعدن فهى تبرز التأثير الشمالى بما يحمله من أساطير وأفكار دينية ترجع إلى نهاية العصر الهلنسى وطوال العصر الرومانى وحتى القرن الخامس الميلادى ..

٥ - وبالنسبة للمسكوكات لاحظنا أن « قرية » ضربت عملاتها محليا وأظهرت صورة

معبودها « كهل » على العملة كتمعار لدولتها وهذا يعنى الاستقلال السياسى لدولة كنده . كما نلاحظ أيضا وفرة العملات المصنوعة من الفضة وهذا يعنى أيضا قوة التعامل التجارى مع الدول الخارجية المجاورة حيث يقتصر التعامل فقط على العملات الذهبية والفضية وما فى مستواها. أما العملات البرونزية فهى قاصرة فقط على التعامل الداخلى فى المدينة . وبذلك تعطى « قرية » صورة فريدة لما كانت عليه الظروف السياسية والاقتصادية للمدينة العربية قبل الاسلام فى المملكة العربية السعودية . وتثبت الدراسة أن هذه العملات يعود تاريخها الى ما بين القرن الأول وحتى مطلع القرن الرابع الميلادى ..

٦ - ويمثل فخار « قرية » الفاء علامة بارزة فى تطور تاريخ المدينة ويمكن مقارنة مرحلته الأولى بفخار القرنين الثانى والأول ق م فى « جحر بن حميد » باليمن وكذلك بالفخار الهلنسى والرومانى والنبطى وبخاصة المزجج منه . وتسير الأولى الى صناعته محليا وتطوره . رغم أن الحفريات لم تكشف بعد عن أفران حرق الفخار فى « قرية » .. وبعد .. فإن كل هذه الأدلة توضح أن مجتمع كنده كان مجتمعا متحضرا . فرغم بعده الجغرافى عن مراكز الحضارات القديمة التى عاصرته : إلا أن النشاط التجارى والنقل السياسى الذى تمثل فى دولة كنده جعل فى استطاعة « قرية » أن تجذب إليها أجمل ميزات تلك الحضارات، وأن تتفاعل معها وتنتج حضارة خاصة بها متميزة بشكل واضح عما جاورها . لتقوم بدور حضارى فعال وسط الجزيرة العربية ..

إن هذا الكتاب جدير بالقراءة : فهو يوضح لنا صورة دقيقة وشاملة لمجتمع دولة كنده بصفة خاصة والمجتمع العربى فى شبه الجزيرة العربية بصفة عامة فى فترة من أهم فترات تاريخ هذه الأمة . ويكشف بموضوعية عن ظروف الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لفترة كان يكتنفها الغموض فى تاريخنا الحديث . وبذلك يضيف الى المكتبة العربية عملا هاما للمختصين والباحثين فى آثار وتاريخ الجزيرة العربية .

